

قصة قديمة: السنارة الفارغة والأسئلة الحيرى



نشرة "الإنسان" 2018/09/02

العدد: 4019 - العدد: 4019

بروفيسور يحيى الرخاوي - الطب النفسي، مصر

yehiatrakhawy@hotmail.com

مقدمة:

نواصل إعادة نشر بعض القصص القصيرة ذات العلاقة، بشكل ما.

قصة قديمة:

السنارة الفارغة والأسئلة الحيرى (1)

(1)

نظرت إلى السمكة وهى ترقص رقصة الموت معلقة فى طرف السنارة، ولم تبتسم، ولا هى أسفت على الساعات التى قضتها تحاول الصيد بأقل قدر من المهارة. الهواء الذى يداعب شعرها يعاتبها على أمر لا تدريه،

قالت له تدافع عن نفسها: "إنها غير مذنبه، وأن المسألة ليست شخصية أبداً". تماوجت خصلات شعرها أكثر مع هبات الريح المتزايدة حتى بدت الخصلات كأنها انتهزت الفرصة لتفر من فروة رأسها، وتفضحها. أرادت - ربما من باب التكفير - أن تعيد السمكة إلى رحم الماء الذى بدا متلهفا على استرجاعها، راحت تتابع رقصة السمكة وهى تتلوى فى يأسٍ صاخب.

كانت ما زالت أبعد عن الفرحة بصيدها، هى أقرب إلى الاحتجاج، وأعجز عن الفعل: لماذا يقتلون الأطفال فى بيت حانون؟ لماذا تستعمل الولايات الزفت حق الفيتو ضد لوم إسرائيل؟ لماذا يجمع ديك تشينى مزيدا من المال بمزيد من التجويع والدماء، وقلبه لا يحتمل نصف كعكة من التى تصنعها أمه، أو أقل خسارة فى رصيده؟ لماذا لا يتعلم رؤسأونا من مهاتير محمد مع أنه أنجز ما لم ينجزوه، ولن ينجزوه؟ ولماذا يورطون أبناءهم فيما لم يختاروه منذ البداية، وغالبا هم لا يعرفون عنه شيئا؟ ليس من المحتمل أن يكتشفوا أن أطيب سنين حياتهم لم تكن هى أطيب سنين حياتهم!

(2)

أحست بلمسة شقيقتها الصغرى على كتفها فالتفت فإذا بها تتمسح بها هامسة بأمرٍ ما.

قالت لها: "حالا يا حبيبتي، حين نرجع البيت سوف أشوى لك هذه السمكة الجميلة، تأكلين أصابعك وراءها".

نظرت البنت إلى فراغ السنارة وتعجبت، فأسرعت بالتصحيح تنفى أنها جائعة وقالت لها "أنا خائفة"، انزعجت الصيادة ولم تقل للبنت: وأنا أيضا خائفة يا حبيبتي، متلك وأكثر.

استمرت البنت لتعلن أنها تريد العودة للبيت لتلعب مع عرائسها، فهى تطمئن معها أكثر من

اطمئنانها الآن وقد انصرف الجميع كل إلى صيده، حتى لو لم يصطد شيئاً، دون أن يلتفت أحد إليها.

(3)

قالت لنفسها: إن البنت معها حق، أما هي، فهي تريد أن تركز على صدر عريض يحتويها بقوة حنون، تريد أن تضع رأسها على كتفه، ليس تماماً، تريد أن يغوص رأسها الصغير في ذلك المنخفض الخفيف أسفل كتفه الأيسر، تريد أن يلمس خدها شعيرات صدره الكثيفة الرمادية التي تسارع بالشيب الجميل قبل شعر رأسه. فجأة، عادت تقفز إليها الأسئلة الخبيثة ذات الإجابات التأميرية:

لماذا سرقوا منها اللحم؟ لماذا تخاف أن تتكلم في الهاتف عن العدل؟ لماذا خان جورباتشوف العهد؟ ما الذي أخذه يلتسن معه؟ أيهما أقوى: عائلة روتشيلد أم عائلة روكفلر؟ من الذي فجر مركز التجارة العالمي فعلاً؟ وكيف حصل بوتين على الحزام الأسود؟ اليمينيون يفدون إلى القاهرة كل صيف يعالجون من أمراض السياسة، والكذب، والقبليّة، والتخلف، والرئاسة، التي فشل تخزين القات في علاجها، فأين يذهب المصريون للعلاج؟ ولماذا تحتج على صديقتها اللعوب وهي تحكى لها عن ذلك الخليجي البدين الذي تستجيب لدعوته ليلة بعد ليلة، وهي مطمئة لأنه عنين؟ مع أنها ليست منهن؟ ولماذا تحرص على صداقتها ما دامت تواصل الاعتراض على تصرفاتها هكذا؟ والألعن أنها تحرص على سماع تفاصيل حكاياتها كلما التقتا؟

(4)

وهي تركز على سطح الماء دون السمكة والسنارة، طالعها وجهه على الشاشة المتماوجة في قناة الجزيرة مثل رأس البرص الذي طارده خالتها حتى السقف إلى أن نجحت في اقتناصه بفردة شبشبها البلاستيك. كانت في الرابعة وكانت راجعة من الحضانة، اعتبرت أن خالتها شديدة القسوة حتى خافت أن يكون مصيرها "هكذا" على يديها، اختلف الأمر الآن وهي تشاهد رأس البرص وهو يعلن حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها، لا بد أن خالتها كانت على حق، أخيراً فهمت السياسة الخارجية التي تحل غموض أحداث الطفولة أحسن من التحليل النفسي، فمن أين لهذا المتخلف أن يحدد أين تبدأ وأين تنتهي حقوق إسرائيل في الدفاع عن نفسها؟

(5)

نظرت إلى سنارتها وفوجئت أنها خالية من السمكة التي كانت ترقص رقصة الموت منذ قليل. هل نجحت السمكة أن تتخلص من السنارة المحكمة وتقفز إلى الماء أثناء غفوتها؟ هل لم يكن هناك سمكة أصلاً مثلما ألمحت شقيقتها الصغيرة دون تعليق؟ هل هي على الشاطئ حقا أم هي في حجرة نومها؟ متى يأتي من يعترف بجمالها الخاص جدا، ويكون أهلا لصحبته بقية عمرها؟ يأتي فتراه هي أيضا "كما هو"، فيصنعان معا، مع كل الناس، حاضرا "الآن"، حاضرا ماثلا يعجز أي وصف أن يحيط به، لكنه حاضر رائع ملئ واعد.

إرتباط كامل النص:

www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD020918.pdf



شبكة علوم النفس العربية

نحو لياقة نفسانية أفضل

مؤسسة العلوم النفسية العربية
معا ... نذهب أبعد